﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا ٨٥﴾ [النساء: 85]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لَمَّا أَمَرَ اللّه تعالى النَّبيَّ ﷺ أن يُحرِّضَ المؤمنين على الجهاد، وذَكَرَ أنَّه ليس عليه وِزْرُ من تمرَّدَ وعَصَى، بَيَّن في هذه الآية أنَّهم حين أَطاعُوه، ولَبّوا دَعوتَه، أَصابَهم مِنْ هذه الطَّاعة خيرٌ كثير، وأنَّ له مِنْ هذا الخَير نصيبًا يستحِقُّ عليه الأجر؛ لأنَّه قد بذَلَ الجُهدَ في تَرغيبِهم فيه، بجَعلِ نفْسِه شفيعًا ونصيرًا لهم في الوصُولِ إلى تَحصيلِ هذه الأغراض الشَّريفة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿شَفَٰعَةً﴾: الشَّفاعَةُ: هي التوسُّطُ بالقَولِ في وصُول شَخصٍ إلى مَنفَعةٍ مِن المنافع الدُّنيويَّة أو الأُخرويَّة، أو خَلاصِه من مَضَرَّةٍ ما[2]، يُقال: شَفَعَ إلى فُلانٍ في أَمرٍ ما شَفاعَةً: إذا طَلَبَ إليه قَضاءَ حاجَةٍ لِلآخرين. وتُطلَقُ على الإعانَةِ والتَّقويَةِ. وأَصلُ الكَلِمَة من الشَّفْعِ، وهو: ضَمُّ الشَّيءِ إلى غَيرِه[3].

2) ﴿حَسَنَةً﴾: الحَسَنَةُ اسمٌ جامعٌ لكُلِّ مَا يَسُرُّ مِنْ نِعمَةٍ تَنالُ الإنسانَ في نَفسِه وبَدَنِه وأَحوَالِه، والسَّيِّئَةُ تضادُّها. والحَسَنُ: الجَيِّدُ، وضِدُّهُ: القَبيحُ والسّيِّء[4].

3) ﴿نَصِيبٌ﴾: النَّصيبُ: الحَظُّ مِنْ كُلِّ شَيءٍ، أو الحَظُّ المَنصُوبُ؛ أي: المُعَيَّنُ، يُقالُ: هذا نَصيبِي؛ أي: حَظِّي، ويُقالُ: لِي نَصيبٌ فيه، أي: جُزءٌ مُعَيَّنٌ من الشَّيءِ المَقسُوم. وتَناصَبَ القَومُ الشَّيءَ: تَقاسَمُوهُ. والجَمعُ: أَنْصِباءُ، وأَنْصِبَةٌ، ونُصُبٌ[5].

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 6/230، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/143.
(2) الراغب، المفردات: (شفع)، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 2/210، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 4/1784.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (شفع).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (حسن).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (نصب).

4) ﴿سَيِّئَةً﴾: الإساءَةُ: مصدرُ أَساءَ، يُسِيءُ، وهي في اللُّغَةِ: خلافُ الإحْسانُ، يُقالُ: أساءَ الرَّجُلُ إساءةً، خِلاف أحْسَنَ، وأَساءَ الشَّيءَ: أَفْسَدَهُ ولم يُحسِنْ عَمَلَهُ، والإساءَةُ أيضًا: اسمٌ للظُّلمِ والمَعصِيَةِ[1].

5) ﴿كِفْلٌ﴾: الكَفالَةُ: الضَّمَانُ، والكَفِيلُ: الضَّامِنُ، وتَأْتِي الكَفَالَةُ بِمَعنَى: الإعَالَةِ والإحَاطَةِ، والكَفِيلُ: العَائِلُ الذي يُنفِقُ عَلَى غَيرِه، وأَصلُ الكَفَالَةِ مِنَ الكَفْلِ، وهُوَ تَضَمُّنُ شَيءٍ لِشَيءٍ، وسُمِّيَتْ الإعَالَةُ كَفَالَةً؛ كَأَنَّ الكَافِلَ تَضَمَّنَ اليَتِيمَ وَضَمَّهُ إِلَيهِ[2]، وقيل: الكِفْلُ: الكَفِيلُ. ونبّه أَنَّ من تحرَّى شرًّا فلَه مِن فِعله كفيلٌ يسلِّمه، كما قِيل: مَن ظَلَمَ فقد أَقام كفيلًا بظلمه، تنبيهًا أَنَّه لا يُمكنه التَّخلُّص من عُقوبته[3].

6) ﴿مُّقِيتًا﴾: المُقِيتُ: الحَافِظُ، والرَّقِيبُ، والشَّاهِدُ، والمُقْتَدِرُ. وأَصلُهُ عِندَ أَبِي عُبَيدَةَ: الحَافِظُ، وهُوَ اسمُ فَاعِلٍ مِنْ أَقَاتَ إِذَا أَعطَى القُوتَ، فَوَزنُهُ مُفْعِلٌ وعَيْنُهُ وَاوٌ. واستُعمِلَ مَجَازًا في مَعَاني الحِفظِ والشَّهَادَةِ بِعَلَاقَةِ اللُّزُومِ؛ لأَنَّ مَنْ يُقِيتُ أَحَدًا فَقَد حَفِظَهُ مِنَ الخَصَاصَةِ أو مِنَ الهَلَاكِ، وهُوَ هُنَا مُستَعمَلٌ في مَعنَى الاطِّلَاعِ، أو مُضَمَّنٌ مَعنَاهُ[4].

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

جاءتِ الآيةُ الكريمةُ على سَبيلِ البيانِ العامِّ في بيان جزاءِ كُلِّ شَفاعةٍ حَسَنةٍ أو كُلِّ شَفاعَةٍ سَيِّئَةٍ، إلَّا أنَّ المقصودَ بها قَصدًا أوَّليًا تَرغيبُ المؤمنين في أن يُعاونَ بعضُهم بعضًا على الجِهاد في سبيل اللّه، وفي انضمام بعضهم إلى بعضٍ من أَجلِ نُصرةِ الحقِّ، وتهديدِ المنافقين الَّذين كانَ يشفعُ بعضُهم لبعضٍ لكي يأذَن لَهُم النَّبيُّ ﷺ في التَّخلُّف عن الجهاد[5].

ومعنَى الآيةِ العامّ: مَن ينضمَّ إلى غيره معينًا له في فَعْلَةٍ حسنةٍ يكنْ له منها نصيبٌ، ومن ينضمَّ إلى غيره معينًا له في فَعلةٍ سيِّئةٍ تَنَلْه منها شدَّةٌ.

(1) الخليل، العين، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (سوأ).
(2) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كفل).
(3) الراغب، المفردات: (كفل).
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والزَّبيدي، تاج العروس: (قوت)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/144.
(5) طنطاوي، الوسيط: 3/242.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ التّعبيرِ بقولِه باسم الشَّرطِ الدَّالِّ على العمومِ مع الفِعلِ المُضارِعِ في قولِه تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ﴾:

كلُّ مَنْ يشفَعْ على الدَّوامِ في الخيرِ فهو ملازمٌ للحمد

بُنِيَتِ الآيةُ الكريمةُ على جُملتي شَرطٍ، وقد جاءتا على طريق المُقابلةِ، وأسلوبُ الشَّرطِ هو المُلائم في مقاماتِ التّعبيرِ عن الجزاءِ المرتّبِ على العملِ. وعُبِّرَ باسم الشَّرطِ ﴿مَّن﴾ لقصد التّعميم، وعُبِّرَ بالفعلِ المضارعِ في فعل الشَّرطِ وجوابِه إلماعًا إلى تجديدِ الثَّوابِ مع تجديد كلِّ شفاعةٍ، وما قيل هنا يُقالُ في الجملةِ المقابلة.

سرُّ البَدْءِ بذكر الشَّفاعةِ الحسنةِ:

الشَّفاعةُ عند الإطلاقِ تنصرفُ للخيرِ

جاءت جملةُ الشَّرطِ في مقابلةِ جملة الشَّرطِ السّابقة، وبُدِئَ بالشَّفاعةِ الحسنةِ؛ لأنَّ الأصلَ في الشّفاعةِ أن تكونَ في الخير، وإطلاقُ الشَّفاعَةِ على السَّعي في الشَّرِّ من بابِ المُشاكَلَةِ؛ لأنَّ الشَّفاعةَ تكون في الوَساطَةِ في الخَير عند الإطلاقِ[1]، ووصفُ الشَّفاعةِ بالحسنةِ هنا تأكيدٌ لها وتمهيدٌ لمقابلتِها السَّيِّئة؛ إذْ لا يُقَالُ: (شَفَعَ) لِلَّذِي سَعَى بِجَلبِ سُوءٍ[2].

فنُّ الطِّباقِ البديعيّ:

بين: ﴿حَسَنَةً﴾ و﴿سَيِّئَةً﴾ طِبَاقٌ كاشفٌ عن بعدِ ما بينهما، فالشَّفاعةُ الحسنةُ تورث الخير والنَّصرَ والإلفةَ بين المؤمنين، والشَّفاعة السَّيِّئة تمزق المجتمعَ المسلمَ وتُنزل عليه الهزائمَ والجرائم.

سرُّ التَّعبيرِ عن جزاءِ الشَّفاعة الحسنةِ بالنَّصيبِ والسَّيِّئة بالكفلِ:

جزاءُ الخيرِ مضاعَفٌ بالخيرِ، وجزاءُ السُّوءِ مماثلٌ للسُّوءِ

عبَّر عن الجزاءِ في جانبِ الشَّفاعةِ الحسنةِ بأنَّه ﴿نَصِيبٌ﴾؛ إيماءً إلى أنَّه قد يكونُ له أجرٌ أكثرُ من ثوابِ مَن شفَع عندَه، وعبَّر بـ﴿كِفْلٌ﴾ عن الجزاءِ في جانبِ الشَّفاعة السيِّئة؛ إشارةً إلى أنَّ مَن

(1) طنطاوي، الوسيط: 3/242.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/144.

يَشفَعْ شفاعةً سيِّئةً يكنْ له نصيبٌ من وِزْرها مُساوٍ لها في المِقْدارِ من غَيرِ أنْ يَنقُصَ منه شيءٌ؛ فالنَّصيبُ هو الحظُّ مِن كلِّ شيءٍ، والكِفلُ الحظُّ كذلك، لكن يُستعمَلُ الكِفلُ بمعنى المِثل؛ فيُؤخذُ من ذلك: أنَّ الكفلَ هو الحظُّ المماثِلُ لحظٍّ آخَر[1].

وقيل: عبَّر بـ﴿كِفْلٌ﴾ عن الجزاءِ في جانبِ الشَّفاعة السيِّئة؛ لأنَّه يُفهَم منه النَّصيبُ ويُفهَمُ أكثرُ مِنه؛ تغليظًا في الزَّجرِ؛ إذ الكِفلُ اسمٌ للنَّصيبِ الّذي عليه يَكونُ اعتمادُ الناسِ في تَحصيلِ المصالحِ لأنفسِهم، ودَفْعِ المفاسِدِ عن أنفسِهم؛ والغَرضُ من قوله: ﴿كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ التنبيهُ على أنَّ الشفاعةَ المؤدِّيةَ إلى سُقوطِ الحقِّ وقوَّةِ الباطلِ تكونُ عَظيمةَ العِقابِ عِندَ اللهِ تعالى[2].

فنُّ المقابلةِ بين الجُمَلِ:

بين جملتي الشَّرطِ مُقابَلَةٌ لَطِيفَةٌ، والمقابلةُ أسلوبٌ يبني العقلَ المُقارِنَ بين الأضداد، والمقارنةُ بين الأشياء خطابٌ ملائمٌ للعقول، وغرضُ المقابلةِ بيانُ ما يستحقُّه كلُّ فريقٍ من الفريقين جزاءً على أفعالِه، وأنَّ قبحَ من يشفع شفاعةً سيِّئةً لا يعني مجازاته فوقَ ما يستحقُّ؛ فإنَّ الجزاء الإلهيَّ مبنيٌّ على الفضلِ في حقِّ المؤمنين والعدلِ في حقِّ الظَّالمين.

دلالةُ التّذييلِ بقولِه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتًا﴾:

اللهُ تعالى يُجازِي على الأعمالِ بِمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ حُسنٍ أو سُوءٍ

جاءتِ الجملةُ تذييلًا مُقرّرًا لمضمون الجملةِ السّابقةِ من أوَّل قوله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً﴾؛ لإفادَةِ أنَّ اللهَ يُجازِي على كُلِّ عَمَلٍ بِمَا يُنَاسِبُهُ مِنْ حُسنٍ أو سُوءٍ[3]، "وقوله: ﴿وَكَانَ﴾ مُطلَقًا من غَير أيِّ قَيدٍ؛ ذلكَ بأنَّه كان من وَقت كذا أو حَال كذا، يدلُّ على أنَّه كانَ حاصلًا من الأزل إلى الأبدِ[4].

بلاغةُ استعمالِ اسمِ الله المُقِيتِ في الآية:

تفرّدتِ الآيةُ بالاسمِ الجليلِ (المُقيتِ)، وهو الحَافِظُ، والرَّقِيبُ،

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/210، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/144.
(2) الراغب، تفسير الراغب: 3/136، والرازي، مفاتيح الغيب: 10/160، والبقاعي، نظم الدرر: 5/348.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 2/210، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/144.
(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 10/161، والشعراوي، تفسير الشعراوي: 4/2496.

والشَّاهِدُ، والمُقتَدِرُ[1]، واستُعمِلَ مَجازًا في مَعاني الحِفظِ والشَّهادَةِ بعلاقَةِ اللزُّوم؛ لأنَّ مَن يُقيتُ أحدًا فَقَد حَفِظَهُ مِنَ الخَصاصَةِ أو من الهلاك، وهو هنا مُستَعمَلٌ في معنى الاطِّلاعِ، أو مُضمَّنٌ معناه، كما يَنبئُ عنه تعديتُهُ بحرفِ ﴿عَلَىٰ﴾ وفسَّرَهُ الغَزالي بِمُوَصِّلِ الأَقواتِ؛ فيُؤَوّلُ إلى معنى الرَّازق، إلَّا أنَّه أخصُّ، وبمعنى المُستَولي على الشَّيء القادر عَليهِ، وعليه يدلُّ قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا﴾، فيكون راجعًا إلى القُدرةِ والعِلمِ[2].

المـقـيـتُ هـو الحافظُ القادرُ المطَّلعُ على كلِّ شَيْءٍ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحَسَن والحَسَنَة والحُسنى:

الحَسَنُ يُقالُ في الأعيانِ والأَحداثِ، وكذلك الحَسَنَة إذا كانت وصَفًا، وإذا كانت اسمًا فمُتعارفٌ في الأحداث، والحُسْنَى لا تُقالُ إلَّا في الأحداث دون الأَعيانِ، والحَسَن أكثَر ما يُقال في تُعارف العامَّة في المُستَحسَن بالبصر، يُقالُ: رَجُلٌ حَسَنٌ وحُسَّان، وامرأةٌ حَسْنَاء وحُسَّانَة، وأكثَر ما جاء في القُرآن مِنَ الحسن فللمُستَحسَنِ من جِهة البَصيرة، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ﴾ [الزمر: 18][3].

الشّفاعة والسُّؤال والأمر:

قالَ أهلُ اللُّغةِ: إنْ طَلَبَ الأَدنَى مِنَ الأَعلى لِنَفسِهِ فهو سُؤالٌ، وإنْ طَلَبَ لغَيرِهِ فهو شَفَاعَةٌ، ومنه تُسمَّى الصَّلاةُ على المَيِّتِ شفاعةً؛ لأنَّهم يطلُبون من اللهِ تعالى له الرَّحمةَ، وإنْ طَلَبَ الأَعلى من الأَدنى لنَفسِهِ هو أَمرٌ، وإنْ طَلَبَ لغَيرِهِ فهو شَفاعةٌ، ومنه قول بَريرة للنَّبيِّ ﷺ حينَ أَمرَها بِرَدِّ زَوجها مُغيث: "يا رَسُولَ اللهِ أَتأمُرُ أم تَشفَعُ؟ قال: بَلْ أَشفَعُ، قالَت: فلا حاجَةَ لي فيهِ". وإنْ طَلَبَ المُساوِي من مِثْله لنَفسِهِ فهو التماسٌ، وإنْ طلَبَ لغيرِه فهو شَفاعةٌ[4].

(1) الزجاج، معاني القرآن: 2/86، والواحدي، البسيط: 2/90، والراغب، تفسير الراغب: 3/1365.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 3/94، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/144.
(3) الراغب، المفردات: (حسن).
(4) المنذري، فتح القريب المجيب: 14/422.

النَّصِيب والحَظّ:

النَّصِيب يكون في المَحبُوب والمَكرُوه، يُقَالُ: وفَّاه اللّه نَصِيبه من النَّعيم أَو من العَذَاب، ولا يُقَالُ: حَظّه من العَذَاب إِلَّا على استِعَارَة بعيدَة؛ لأَنَّ أصلَ الحَظِّ هو مَا يحظُّه اللّه تعالى للعَبد من الخَير، والنَّصيب مَا نصَبَ لَهُ ليناله سَوَاء كَانَ محبوبًا أَو مَكرُوهًا، ويَجوز أَن يُقَال: الحَظُّ اسمٌ لم يرْتَفع بِهِ المحظوظ، ولهذَا يُذكر على جِهَة المَدح، فَيُقَالُ: لفُلَانٍ حَظٌّ، وَهُوَ محظوظٌ، والنَّصيب مَا يُصِيب الإِنسَان من مُقاسمةٍ، سَوَاء ارتَفعَ بِهِ شَأْنُه أم لَا، ولهذَا يُقَالُ: لفُلَان حَظٌّ في التِّجَارَة، ولا يُقَال: لَهُ نصيبٌ فِيهَا؛ لِأَنَّ الرِّبحَ الَّذِي يَنَالهُ فِيهَا لَيسَ عَن مُقاسمةٍ[1].

النَّصِيب والكِفْل:

الكِفْلُ يُستَعمَلُ في الشِّدَّة وفي الشَّيءِ الرَّدِيء. قال القَاسِميُّ رحمه اللّه: "نكتةُ اختيار النَّصيب في (الحسَنَة)، والكِفْلُ في (السَّيِّئَة). والنَّصيبُ يَشملُ الزِّيادَةَ؛ لأَنَّ جَزاءَ الحَسَنات يُضاعَفُ، وأمَّا الكِفْلُ فأَصْلُه المَركَبُ الصَّعبُ، ثُمَّ استُعيرَ للمِثلِ المُساوي؛ فلذا اختيرَ إشارةً إلى لُطفِه بعِبادِه، إذ لم يُضاعِف السَّيِّئات كالحسَنات. ويُقالُ: إنَّه وإن كان معناهُ المِثلَ، لكنَّه غَلب في الشَّرِّ، ونَدَر في غَيرِه، كقوله تعالى: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [الحديد: 28]، فلذا خُصَّ به السَّيِّئةُ؛ تطريةً، أي: تحسينًا للعِبارة، وهربًا مِنَ التّكرار"[2].

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 165.

(2) القاسمي، محاسن التنزيل: 3/242.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع، سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 7 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-59-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 7 : سورة النساء من الآية 24 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-59-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5066600 بتاريخ 2023/03/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»